

الإحسان إلى الحيوان



www.balagh.com

1- الإحسان إلى الحيوان في القرآن الكريم: تنويه: لمّا كانت الحيوانات كالخيل والبغال والحمير، مُعدّة كوسائل لنقل الإنسان وأمتعته، والأنعمان كالجمال والأبقار والأغنام، لطعام الإنسان ولباسه، والحيشيات كالنحل لغذائه والاستفادة من خلاياها لصناعة الشمع، والطيور والأسماك، كلّها مسخّرة لخدمة الإنسان ونفعه، كان لابدّ من الإحسان إلى ما يُحسن إلينا حتى ولو كان من العجماءات التي قد لا تفهم لغتنا، لكنها تفهم إشاراتنا الإنسانية. قال تعالى في الدعوة إلى رعاية الحيوان والرّفق به والمحافظة على حقوقه، من خلال المثل المتصوب عن العناية بناقة صالح، التي وإن كانت لها خصوصية خاصة، إلا أنّنا يمكن أن نستفيد من ذلك درساً في الرّفق بالحيوان: (هذـهـنـاقـةـ أـلـآـيـةـ فـذـرـوـهـاـ تـأـكـلـ فـيـ أـرـضـ أـلـأـ وـلـاـ تـمـسـ وـهـاـ بـسـوـءـ فـيـ أـخـذـ كـمـ عـذـابـ أـلـيـمـ) (الأعراف/ 73). فالحيوانات الأليفة والداجنة حيادية ومسالمة، فلا يجوز الاعتداء عليها أو اضطهادها بأيّ شكلٍ من الأشكال، فهي نافعة من جهة ومسالمة من جهة، وجزاء الإحسان إلا الإحسان يجري على الحيوان كما يجري على الإنسان.

2- الإحسان إلى الحيوان في الأحاديث والروايات:

أ) إذا تذكريتَ أنَّ الحيوان من ذوات الأرواح، وأنَّه يتعب كما نتعب، ويجوع كما نجوع، ويعطش كما نعطش، ويحتاج إلى الراحة كما نحتاج، فتعاطيـتـ معهـ على أساس ذلك، فإنـكـ تكون قد أحسنتـ إليهـ: أبصرـ رسولـ أـلـهـ (صـ)ـ نـاقـةـ مـعـقـولـةـ (مـرـبـوـطـةـ)ـ وـعـلـيـهاـ جـهـازـهـ (حـلـمـهـ)،ـ فـقـالـ:ـ "ـأـينـ صـاحـبـهـ؟ـ مـرـوهـ فـلـيـسـتـعـدـ غـداـ لـلـخـصـومـةـ"ـ!!ـ بـ)ـ أـنـ تـكـونـ الدـاـبـةـ مـلـكـاـ لـكـ لـاـ يـعـنـيـ أـنـ تـسـتـبـدـ بـهـ،ـ فـتـضـرـبـهـ

أو تجيعها، أو تحمل عليها فوق طاقتها، أو تقطع بها مسافات طويلة تنهك قواها، أو تتخاذلها كرسياً: يقول (ص): "إنَّ إِنْ يَحِبُّ الرَّفِيقَ وَيَعِينُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَكَبْتُمُ الدَّوَابَ" العُجُفُ فأنزلها منازلها، فإن كانت الأرض مُجده فانجووا (ابتعدوا) عنها، وإن كانت مخصبة فأنزلها منازلها". وقال (ص): "إِرْكِبُوا هَذِهِ الدَّوَابَ" سالمة، وايدعواها سالمة، ولا تتخذوها كراسى لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرُبَّ مركوبةٍ خير من راكبها وأكثر ذكرًا □ تبارك وتعالى منه". ت) الوفاء بحقوق الحيوان مؤشّر على إنسانية الإنسان: يقول (ص): "لِلْدَابَّةِ عَلَى صاحبها ست خصال" (حقوق): 1- يعلفها إذا نزل، فإذا كان صاحب السيارة يُعبِّئها بالبنزين بين الحين والحين حتى يستطيع مواصلة سيره بها، مما بالكلَّ بحيوانٍ يجوع وليس له مؤشّر بنزين. إنَّها مسؤوليةٌ صاحبها في معرفة أوقات إطعامه وشرابه ومنامه. 2- ويعرض عليها الماء إذا مرَّ به، فقد تكون عطشى وتنتظر فرصة أن يسقيها صاحبها، فهي دائمًا رهن تحذّنه وعطفه وإحساسه بها. 3- ولا يضرّها إلا على حقٍّ، أي إذا نفرت، ولا يعني أن يوجعها ضرباً، فهي تتألم أيضًا. 4- ولا يُحْمِلُها ما لا تُطِيقُ، فكما لصاحبها طاقة محدودة يطلب من ربِّه أن لا يُحْمِلُه فوقها، هي أيضًا لها طاقة معيَّنة لا يجوز تجاوزها بحجَّة أنَّها بهيمة! في المطارات العالمية اليوم، لا يُسمح للراكب أو المسافر أن يضع في حقيبته سوى الوزن المسموح والمُتعارَف عليه، لثلا تتسبَّبُ الزيادة في إيلام عامل النقل في المطار. مما أجمل أن يُراعي صاحب الدابة دابَّته كما تُراعي شركات الطيران أو المطارات عمُّال نقلها. ولسنا في صدد المقارنة بين (إنسان) وبين (حيوان)، لكننا نعود للقول إنَّنا نُقارن بين ذوات الأرواح. فإذا كان المصعد الكهربائي يئنُ من الثقل الزائد في داخله، فيتشعل ضوءًا أو يُرسل صوتاً، فكيف يُشعر الحيوان صاحبه أنَّ ظهره قد انكسر؟! 5- ولا يُكلِّفها من السَّير إلا طاقتها، أي لمسافاتٍ معقولةٍ يُترك لمروءته تقديرها. 6- (ولا يقف عليها فوقاً) أي لا يتاذها كرسياً يستريح عليها دون أن تكون في حالة سير. ث) والإحسان للحيوان لا يقتصر فقط على صاحب الحيوان أو مالكه، بل كلَّ إنسان يرى حيوان جائعاً أو عطشاً، عليه أن يُطعمه ويسقيه، لأنَّ "في كلِّ كبدٍ حرَّى أجرًا". رُوي عن رسول الله (ص) قوله: "غُفرَ لامرأةٍ مومَسَتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيْ" (بئر) يلهث كاد يقتله العطش، فنزعَتْ خفَّها فأرشقتَه بخمارها فنزعَتْ له من الماء، فغفرَ لها بذلك". قارن بين هذه القصَّة والقصَّة التالية للتعرف ما يفعله الإحسان بالحيوان، فضلاً عن الإنسان: نقل بعض المُفسَّرين أنَّ شخصاً مسلماً شاهد إمرأةً كافرةً تنشرُ الحبَّ للطيور في الشتاء، فقال لها: لا يُقبل هذا العمل من أمثالك، فأجابته: إنَّي أعملُ هذا سواء قُبِلَ أم لم يُقبَلَ، ولم يمض وقت طويل حتى رأى الرجل هذه المرأة في حرم الكعبة، فقالت له: يا هذا، إنَّ إِنْ تَفْصِّلْ عَلَيَّ بِنِعْمَةِ إِلَهِ إِلَّا حَبَّ الْحَبُوبِ الْقَلِيلَةِ! هذا هو أجر الإحسان

للحيوان الجائع العطشان، أمّا إذا حجبت الإحسان، فالماوى الذّيران. عن النبي (ص) أيضاً: "عُذْ بـ امرأة في هرّ ربطته حتى مات، ولم تُرسله فيأكل من خـشاش الأرض، فوجبت لها النار" بذلك". هذان المشهدان الأول والأخير، رآهما النبي (ص) في المعراج، فإذا كان الإحسان إلى الحيوان يُدخل الجنّة، وحرمانه من الإحسان يُدخل النار، فكيف هي المكافأة لمن يُحسن لأفضل مخلوقات الله تعالى وهو الإنسان؟ 3- الإحسان إلى الحيوان في الأدب: هذا (عامر بن معصعة) يرى إكرام الخيل إكراماً للنفس، فيقول: أهينوا لها تُكرمون وبashروا صيانتها، والصّون للخيل أجمل متى تُكرموها يُكرم المرأة نفسه وكلّ امرئٍ من قومه حيث ينزل وهذا (إسماعيل بن عجلان) يُقاسم الخيل ماله ويُطعم أهله الباقي أملأ أن يؤجر، حيث يقول: أُقاسمُها مالي، وأُطعمُ فضلَّها عيالي، وأرجو أن أُعاف وأوجرا إذا لم يكن عندي جوادٌ رأيتني ولو كان عندي كنزٌ قارونٌ مُعسراً ويبدو أنّ إكرام الخيل عند بعض العرب كان يفوق إكرام العيال، فليس (بن عجلان) وحده الذي كان يفعل ذلك، فهذا رجلٌ من تميم، يقول: مُفداةٌ مُكرمةٌ علينا تُجاعٌ لها العيالٌ ولا تُجاعٌ !! وكان (الأخطل) يقول: إذا ما الخيل ضيّعها أُناسٌ ضممناها، فشاركت العيالا نُقاسِمُها المعيشة كُلّ يومٍ وزُلبيسُها البراقع والجلال! فانظر كيف كانوا يتفاخرون في الإحسان إلى الحيوان؟! لذلك لا تستغرب أن تشاطر الحيوانات الأليفة سكّان البيوت الريفية، فتكون لها زربية تأوي إليها، فتجد فيها الطعام والشراب والمنام. كما لا نعجب من أن يكون هناك مكان في اليمن يُسمى بـ (سوق العرج) تودع فيه الحيوانات المتقاعدة أو المريضة أو التي كُسرت إحدى قوائمها، فيكون لها أن تأكل وتشرب لقاء خدمتها الطويلة، ليُقابل إحسانها القديم بهذا التخصيص التقاعدي الكريم! 4- برنا مج الإحسان إلى الحيوان: تعتبر ما ورد من توصيات النبي (ص) في رعاية حقوق الحيوان، وما سبقت الإشارة إليه هنا وهناك من أصول العناية بهذه النعمة الربانية الفضيلة، برنا مجا للإحسان بالحيوان، وبه نكتفي.